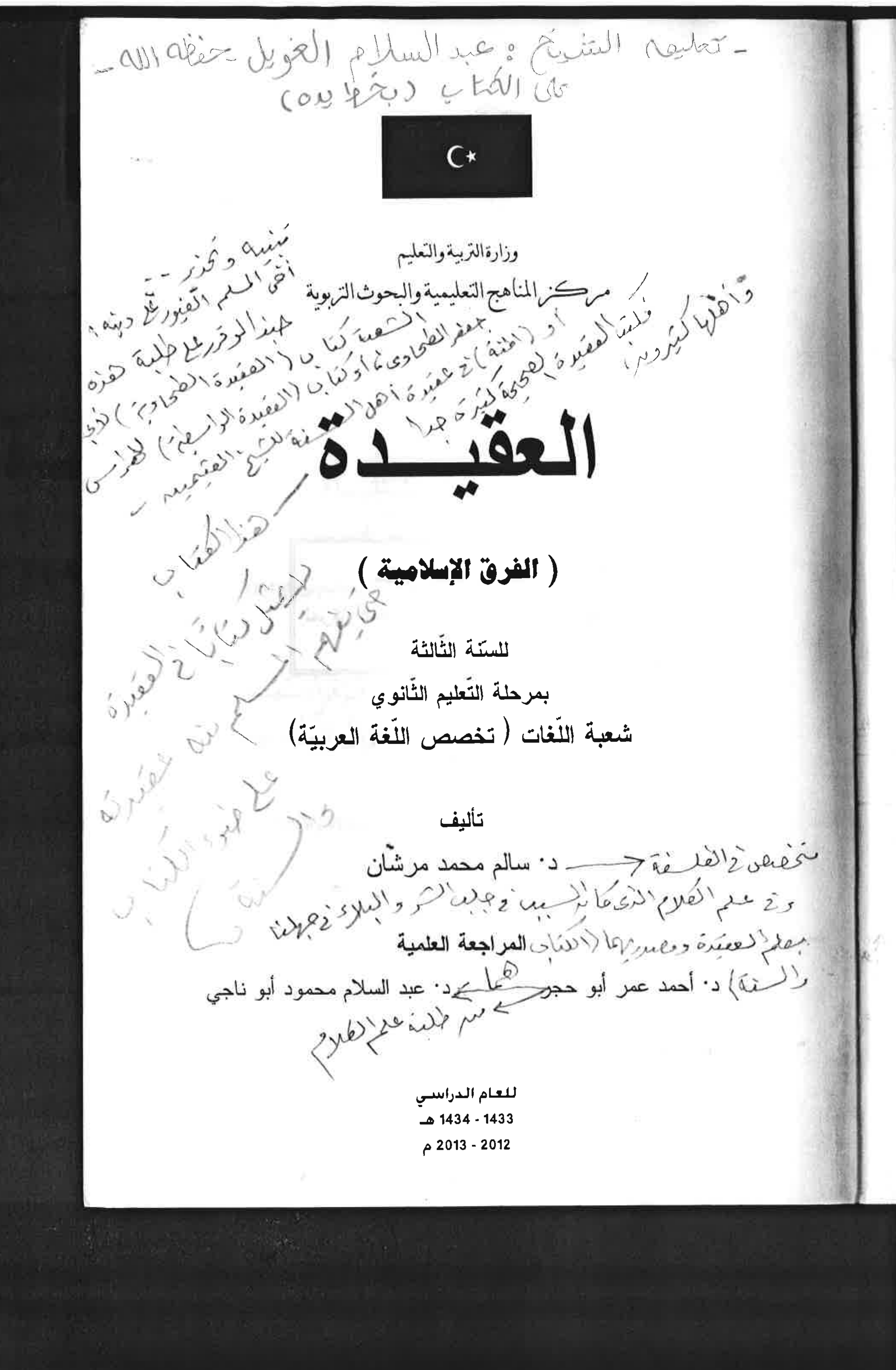


- تحليه الشيخ: عبد السلام الغويل حفظه الله - على الكتاب (بخط يده)

وزارة التربية والتعليم

مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

العقيـــدة

(الفرق الإسلامية)

للسّنة الثّالثة

بمرحلة التّعليم الثّانوي

شعبة اللّغات (تخصص اللّغة العربيّة)

تأليف

د. سالم محمد مرشّان ← متخصص في الفلسفة وفي علم الكلام الذي كان السبب في جلب الشر والبلاء في جهلنا بعلم العقيدة ومصدريها (الكتاب والسنة)

المراجعة العلمية

د. أحمد عمر أبو حجر ← هما من طلبة علم الكلام

د. عبد السلام محمود أبو ناجي

للعام الدراسي

1433 - 1434 هـ

2012 - 2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الّذي أرسل سيّدنا محمداً بالهدى ودين الحقّ ليظهره علي **الدين كلّه** ، والصّلاة والسّلام علي هذا الرّسول الكريم الذّي جمع الله به **القلوب المتنافرة** ، وألف به النفّوس المتباينة ، وعلي آله وصحابته مصابيح **الهداية ونجوم الاقتداء** ، وعلي كل من تبعهم بإحسان إلي يوم الدّين .

وبعد ،،،

فهذا كتاب " الفرق الإسلامية " المقرر علي طلبة السّنة الثّالثة شعبة **اللّغات** تخصص اللّغة العربيّة نضعه بين أيدي طلابنا علّه يكون حافزاً لهم **علي** المزيد من الاطّلاع والدّراسة والبحث في مجال تاريخ الفرق **الإسلامية** : نشأتها ، ومبادئها ، وتعاليمها ، وتطورها ، وكلّ ما يتعلق بها.

إنّ الحديث عن الفرق الإسلامية ـــ من حيث تلك المجالات ـــ موضوع متشعب تناوله الكثير من المؤرخين والباحثين بالدّراسة والتّحليل، فقد تحدّث هؤلاء عن كثير من فرق في تاريخ الإسلام، وفصلوا القول فيها شرحاً ونقداً، وتعرضوا من خلال مؤلفاتهم لجميع الفرق المعتدلة منها والمغالية.

ومن المعلوم أنّ تلك الفرق المغالية كان أكثر ظهورها في العقائد، إذ تسترت بشعارات إسلامية، وأوّلت بعض الآيات القرآنية لتساير مبادئهم وأهواءهم، فغالي بعضهم في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وظهرت في ذلك فرقتان متطرفتان، وهما القدرية والجبرية، وغالي قوم في حب آل البيت ـــ رضي الله عنهم جميعاًـــ وتقديم الإمام علي بن أبي طالب ـــ ~~كرم الله وجهه~~ رضي الله عنه ـــ وتفضيله علي جميع الصّحابة دون استثناء، ثم

جملة (كرم الله وجهه) هي من المصطلحات الشيعية التي يخصون بها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولا يطلقونها على أحد سواه، فنحن بإزاء الخلافة [illegible] نكتفي بالترضي عليه كما نترضى على جميع الصحابة

تمادوا في تعظيمه وتقديسه حتى وصل بعضهم بسبب ذلك إلي الكفر، كالسبئية وغيرهم من غلاة الشيعة، وغالي فريق من المسلمين في تقديس العقل حتى قالوا بوجوب الصّلاح والأصلح على الله تعالي، وهم المعتزلة، وغالت جماعة أخرى في صفات الله تعالي تشبها وتجسيدا، وهم المتشبهة والمجسمة.

وقد انحسرت معظم هذه الفرق المغالية ،لأنها لا تتفق مع الفطرة والأصول الصحيحة للإسلام، ولأن آراءها زبد فذهب جفاء، فقد فشلوا في إقناع النّاس بأفكارهم ومبادئهم لتأمين المدد لبقائهم.

وهناك نحل وجدت في العصر الحديث حسبت على الإسلام، وهي ليست منه بأي حال من الأحوال، كالقديانية والبهائية وغيرهما، وهي حركات هدّامة غرضها القضاء على الإسلام والتفريق بين المسلمين والتشويش عليهم.

هذا وسيكون الحديث – في هذا الكتاب المتواضع – عن الفرق الإسلامية الكبرى – حسب المنهج المعتمد – وهي: أهل السّنة والجماعة (الأشعرية والماتريدية) والشّيعة، والمعتزلة، كما سيكون الحديث عن القديانية والبهائية.

والله تعالي نسأل أن ينفع به كل من قرأه، وأن يكتب لي ولهم التوفيق والنّجاح في الدّنيا وفي الآخرة، إنّه سميع الدعاء مجيب الرجاء.

وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين ....

المؤلف

دماء بعض وكان بأسهم بينهم شديداً فطمع فيهم من كان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وقت أن كان حبل الله المتين في أيدي وقلوب المسلمين المخلصين .

لقد لقي المسلمون علي يد تلك الفرق المضلة ما لقوا من نكبات ومصائب، ولولا قوة تعاليم الإسلام وصفاء نبعه واتساق عقيدته مع الفطرة الإنسانية – وقبل هذا وبعده – حفظ الله تعالى له،لحرمت الإنسانية من مزاياه وفضائله .

أجل لقد فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم روح الإسلام ، فكانت العقيدة الإسلامية تكمن في قلوبهم في يسر وصفاء واعتزاز ، ومصدرهم في ذلك القرآن الكريم وسنة خير المرسلين سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي ختم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنزل الله تعالى – في آخر حياته صلّى الله عليه وسلّم – قوله جل شأنه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (1)

انتقل أفضل الخلق محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – إلى الرفيق الأعلى وهو أعز على المسلمين من أنفسهم ، لأنّه ربّى أرواحهم وهذّب أخلاقهم، وجمع شملهم ، ووحّدَ كلمتهم وأخرجهم من الظلمات إلي النور، فلم يكن موته – عليه الصّلاة والسّلام – سهلاً ومحتملاً – بل اضطربت قلوبهم وثارت نفوسهم حتى إن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال من قال إنّ محمّدا قد مات قتلته بسيفي هذا وإنّما رفع إلي السماء كما رفع عيسي ابن

1- سورة المائدة، من الآية رقم : 4 .

كيف لا يكون موته – عليه الصلاة والسلام – محتملا للصحابة وهم يقرأون قوله تعالى: «إنك ميت وإنهم ميتون» أهم يشككون في هذا الموت الحتمي! إلا إذا قلنا إنهم لم يقرأوا القرآن ولم يتدبروه) وإنما كونهم انشغلوا لانشغالهم بالشدة ووقع خبر موته على نفوسهم – صلى الله عليه وآله وسلم –

... عليه الصّلاة والسّلام – وسراعاً نبّه أبوبكر الصّديق عمر بن الخطاب إلى قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (1)

فرجع عمر والقوم إلى أنفسهم وقال : كأني ما سمعت هذه الآية حتى قراها أبوبكر. وهذا دليل على أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بشر يحيا ويموت

وبموته – صلّى الله عليه وسلّم – حاولت الفتنة أن تطل برأسها في صورة خلاف على الخلافة والولاية ، واتّخذ هذا الخلاف درجة الجدّية بين المهاجرين والأنصار في بداية الأمر، ولكن سماحة هذا الدّين، وعمق جذوره في قلوب المؤمنين والبعد عن المطامع الذاتية ، كل ذلك ساعد على قطع الخلاف، وانتخب أبوبكر الصّديق – رضي الله عنه – خليفة للمسلمين.

ومن هنا الخلافة كانت أول مسألة اشتدّ فيها الخلاف بين المسلمين وتشعبت فيها الآراء وتكونت حولها أهم الفرق الإسلامية في العصر الأول وهي الشّيعة والخوارج ثم المرجئة ، وسيأتي الحديث عنها فيما بعد .

لقد كان العراق – وخصوصا (البصرة) – مظهرا لجميع الملل والنحل بعد أن انتهى المسلمون من الفتح ودخل في الإسلام كثير من أصحاب الديانات الأخرى (اليهودية والنصرانية والمجوسية ... وغيرها) وأخذت تظهر أفكار جديدة صيغت من أصحاب الديانات القديمة في ثوب دينهم الجديد. فقامت جماعة يقولون بحرّية الإرادة، وعلي رأسهم (معبد الجهني) وتكونت منهم فرقة (القدرية)، كما كانت هناك جماعة أخرى يسلبون

1- سورة آل عمران، من الآية رقم: 144 .

الإنسان إرادته، وعلي رأسهم (جهم بن صفوان) وتكونت منهم فرقة (الجبرية)·

في وسط ذلك الاضطراب الفكري، والمبادئ التي كوّنتها كل فرقة لنفسها قام جماعة من المخلصين يشرحون للناس عقائد الإسلام كما بينها القرآن الكريم· ومن أشهرهم (أبو الحسن البصري)· وكان من أثر اختلافه مع تلميذه (واصل بن عطاء) أن تكونت فرقة (المعتزلة) التي كان لها الفضل الأكبر في الدفاع عن العقيدة، وكان هذا في أوائل القرن الثاني الهجري· وفي أواخر القرن الثالث الهجري ظهر الإمام (أبو منصور الماتريدي) واشتغل بالرد علي أصحاب العقائد الباطلة، وتكوّنت منه ومن أتباعه فرقة (الماتريدية)

كما ظهر الإمام (أبو الحسن الأشعري) وأعلن انفصاله عن المعُتزلة، كما أعلن مبادئه الجديدة التي وافق عليها خيرة علماء المسلمين، وظهرت بهذا فرقة (الأشاعرة) ، ومن هاتين الفرقتين تكوّنت جماعة أهل السنة ·

أسباب التفرق والاختلاف بين المسلمين:

يذكر مؤرخو الفرق أنّ المسلمين قد اختلفوا إلي مذاهب وفرق في الاعتقاد والسياسة والفقه وغيرها ·

والذّي يعنينا ــ هنا ــ هو الاختلاف في الاعتقاد والسياسة، وقبل الخوض في بيان أسباب هذا الاختلاف والتفرق ينبغي أن نشير إلي ما يلي:

أولاً: أنّ هذا الاختلاف بين الفرق الإسلامية المعتدلة لم يتناول ــ بفضل الله تعالى ــ جوهر العقيدة الإسلامية، فلم يكن الاختلاف في وجود الله تعالي ووحدانيته، وشهادة أنّ محمّدا رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ولا في أن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالي وأنّه معجزة الرّسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ الكبرى وبصورة عامّة لم يكن خلافا في ركن من

أركان الإسلام ولا في أمر معلوم من الدين بالضّرورة، وإنّما الاختلاف كان في أمور لا تمس لب العقيدة وأصولها العامّة·

ثانياً: إنّ هذا الاختلاف كان ــ بلا ريب ــ شراً بالنّسبة للاختلاف حول بعض العقائد ، وحول السّياسة ، ولذلك روى البخاري عن زينب بنت جحش زوج الرّسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ أنها قالت: استيقظ النبّي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ محمراً وجهه يقول: " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب"، ويشير النّبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ إلى ما يجري بين المسلمين من خلاف من بعده ·

ويروى أن النبي ــ صلّى الله وعليه وسلّم ــ قال: " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة "، يقول علماء الحديث:إن حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشدّ بعضها بعضاً بحيث لا تبقي ريبة في حاصل معناه ·

ولعل سؤالاً يتبادر إلى الذّهن هنا ، وهو لماذا اختلف المسلمون بعد النّبي ــ صلّى اله عليه وسلّم ــ ، وقد تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وترك فيهم ما إن تمسكوا به لن يضلوا بعده: كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ؟

والجواب عن ذلك أن أسباب الاختلاف كانت كثيرة جعلت المسلمين فرقاً متعددة ، وأنّ هذا الاختلاف قسمان: اختلاف لم يفرق الأمة ولم يجعل بأسها بينها شديداً، واختلاف قد فرّق الأمة وأذهب وحدتها، وهو الخلاف في السياسة وشؤون الحكم ·

من علماء المسلمين ومفكريهم، وأخذ البعض منهم بطريقة الفلاسفة في البحث فيما وراء الطبيعة، وظهر في العصر العباسي أقوام شكيون ينزعون في الشك منزع السوفسطائيين الذين ظهروا في اليونان والرومان، ومن هنا وجدت آراء كثيرة نتيجة لترجمة كتب الفلسفة، ووجد مفكرون متفكرون في العقائد الإسلامية.

كما ظهرت مقالات علي أيدي الموالي، مثل مقالة الجبر التي تجعل الإنسان كالريشة في مهب الريح يتحرك قهراً بلا إرادة، وهي مقالة جهم بن صفوان، والجعد بن درهم، ومقالة الاختيار التي تعني إرادة الإنسان لكل فعله، ومسئوليته عن اختياره، وهي مقالة غيلان الدمشقي وهو من الموالي أيضا.

وهكذا اتخذت كل فرقة ــ من هذه الفرق ــ مذهباً فكرياً خاصاً بها يتفق مع المنهج السياسي الذي تدعو إليه وتؤيده، ثم عمدت إلى تقريب الإسلام إلى مبادئها الفلسفية أو تقريب هذه المذاهب إلى الإسلام، وعرف ذلك في الفلسفة الإسلامية باسم التوفيق بين الدين والفلسفة.

ومن هنا فإن المسلمين ــ وبخاصة علماء الكلام والفلسفة ــ قد جرّهم بحثهم الفلسفي في مسائل ليس في استطاعة العقل البشري أن يصل إلى نتائج مقررة ثابتة فيها كمسألة إثبات صفات الله تعالي ونفيها ومسألة قدرة العبد بجانب قدرة الرّب وغير ذلك من المسائل التي يؤدي البحث فيها إلى زيادة الاختلاف والتفرق.

4. انتشار القصص والقصاصين:

ظهر القصص في عهد الخليفة الثّالث: عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ ووجد القصاصون سوقاً رائجة للجلوس إليهم والاستماع إلى قصصهم أما الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب ــ كرّم الله وجهه ــ فقد كرّه ذلك ونهى عنه حتى إنه أخرج القصاص من المساجد، لما كانوا

يضعونه في أذهان الناس من خرافات وأساطير ، كثير منها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف والتغير والتبديل والنسيان·

وقد كثر القصص في العهد الأموي، وكان بعضه صالحاً، وكثير منه غير صالح لأنه لم يرد في القرآن الكريم أو في السّنة النّبوية الصّحيحة·

ولعلّ هذا القصص كان السبب في دخول كثير من الإسرائيليات في كتب التفسير، وكتب التاريخ الإسلامي ·

إن القصص – في كل صوره التي ظهرت في ذلك العصر – كان أفكاراً [illegible] تلقى في المجالس المتعددة، وإنّ من الطّبيعي أن يكون بسببها خلاف، وخصوصاً إذا ناصر القاصّ صاحب مذهب، أو زعيم فكرة أو سلطاناً، وشايع الآخر غيره ، فإن ذلك الخلاف يروى إلى العامّة وتسوء العقبى، وكثير ما كان يحدث في العصور الإسلامية المتعاقبة ·

5. ورود المتشابه في القرآن الكريم:

ثبت ورود المتشابه في القرآن الكريم، ليختبر الله سبحانه وتعالي به قوة الإيمان في قلوب المؤمنين، وقد كان وروده سبباً في اختلاف العلماء في مواضع المتشابهات من القرآن الكريم، يقول الله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(1)

1- سورة آل عمران ، الآية رقم : 7.

ومن هنا حاول كثير من ذوي الأفهام تأويله، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا في التأويل اختلافاً بيناً، ومن العلماء من توقف ولم يلجأ إلى التأويل ·

هذه هي بعض أسباب الخلاف باختصار· ومن المعلوم أن الخلاف بين المسلمين كان مظهرين أحدهما عملي والآخر علمي أو فكري · فالعملي: كتلك الأحداث التّي وقعت في عهد عثمان وعلي – رضي الله عنهما – أمّا العلمي: فهو ما يتعلق بالاختلاف حول بعض الأمور التي تتصل بالعقيدة وبالفروع، وهو علي كل حال لم يصل بالعلماء إلى الحرب و القتال بينهم لأن طبيعة حياتهم العملية لا تسمح لهم بأن ينقلوا الخلاف من ميدان القول إلى ميدان الفعل·

والأهم من ذلك كلّه أن هذا الخلاف النظّري لم يمسّ لب الإسلام وأركان الدين بالإضافة إلى أن الفرق التّي كوّنت مبادئ تمسّ الاعتقاد الصحيح كانت ضئيلة لا تمثل الغالبية العظمى من المسلمين ·

الخلاصة

إن الخلاف بين المسلمين لم يكن بسبب الدّين، فلم يفرقهم القرآن الكريم ولا السّنة، بل فرقتهم البدع والأهواء والتيارات السياسية، ولعلّ من أهم تلك الأسباب:

- الاختلاف حول مسألة الخلافة والحكم بعد النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وما دار حول ذلك من جدل وتشعب آراء ·
- دخول كثير من أهل الديانات القديمة في الإسلام ، ونفوسهم بها بقايا من تلك الدّيانات، ومنهم من كان إسلامه شكلياً فقط لحاجة كان يقتضيها ·

- كثرة الأفكار التّي وفدت على المسلمين من خارج بلادهم حيث ترجمت كتب الفلسفة، وانتشرت النظّريات، ودار الجدل في كثير من المسائل التّي فتحت باب الاختلاف والتّفرق ·
- الأساطير الغريبة والخرافات التّي كان القصّاصون يثيرونها داخل المجتمع الإسلامي، وتشجيعهم لرأي دون آخر ·
- ورود المتشابه في القرآن الكريم واختلاف المفسرين حوله·
- والجدير ذكره، أن الخلاف فيما يتعلق بالعقائد لم يتجاوز الحد النظّري والاتجاه الفكري، ولم يمس جوهر الإسلام وأركان الدين·

المناقشة

1- بموت النّبي ــ صلّي الله عليه وسلّم ــ حاولت الفتنة أن تطل برأسها حول مسألة الخلافة ·

وضح ذلك· مبيناً كيف كانت هذه المسألة سبباً في نشأة بعض الفرق·

2- الخلاف بين المسلمين له مظهران عملي وعلمي ·

ما المقصود بالأول؟ وما الأسباب الحقيقية للثّاني؟

3- أدت الاضطرابات الفكرية والمبادئ التّي كونتها الفرق إلى ظهور جماعة مخلصة همها توضيح عقائد الإسلام والدّفاع عنها· ناقش ذلك

علـــم الكـــلام

تعريفه:

علم يبحث فيه عن وجود الله ــ تعالي ــ وما يجب أن يثبت له من الصّفات وما يجب أن ينفى عنه منها، وما يجوز أن يوصف به منها، وما يتوقف عليه ذلك، وعن الرّسل من حيث رسالاتهم، وما يجب اتصّافهم به من الصّفات وما يجب نفيه عنهم منها، وما يجوز اتصافهم به منها.

وعرفه(الإيجي) في كتاب: (المواقف) بقوله: علم يقتدر معه علي إثبات العقائد الدّينية علي الغير وإلزامه إياها بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها.

والمراد بالعقائد في التعريف: ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا: الله تعالي عالم قادر سميع بصير، لا ما يقصد به نفس العمل كقولنا: الوتر سّنة وصلاة الظهر فرض مثلاً. فهذه الأمور يعني بها (علم الفقه). والمراد بالدينية المنسوبة إلــى دين سيدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم ــ.

وعرّفه ابن خلدون في مقدمته بقوله: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ علي المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السّلف وأهل السّنة.

موضوعه:

هو المعلوم من حيث إنّه يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقًا قريباً أو بعيداً. وقيل موضوعه: الله تعالي، ورسله ــ عليهم الصّلاة والسّلام ــ والسّميعات من حيث اعتقادها والإيمان بها، وقيل: إن موضوعه الموجود من حيث هو موجود.

أسباب تسميته بعلم الكلام

سُمّي هذا العلم ـ الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية، والرّد على المخالفين ـ: (علم الكلام)، وسُمّي المشتغلون به بالمتكلمين، وقد علل العلماء سبب هذه التسمية وأرجعوها إلى ما يلي:

1. لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا، وكذا.
2. ولأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثر نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض الحكام قتل كثيراً من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن.
3. ولأنه يورث قدرة علي الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة.
4. ولأنه أول ما يجب من العلوم التّي تعلّم وتُتعلّم بالكلام، فأطلق عُليه هذا الاسم لذلك، ثم خص به ولم يطلق على غيره تمييزاً له.
5. ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين إذ غيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.
6. ولأنه أكثر العلوم خلافاً ونزاعاً، فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرّد عليهم.
7. ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلامين : هذا هو الكلام!!
8. ولأنه لا بتنائه علي الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية، أشدّ العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه، فسُمّي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجُرْحُ.

لم ينشأ علم الكلام ـ في الإسلام ـ نتيجة سبب بعينه، وإنما هو نتاج أسباب متضامنة، وعوامل متظافرة، اقتضت وجوده علي الصّورة التي نراها عليه في تاريخ الفكر الإسلامي بعض هذه الأسباب داخلي وبعضها خارجي.

الأسباب الداخلية:

1. عرض القرآن الكريم واحتواؤه لبعض الفرق والديانات القديمة:

لقد تعرض القرآن الكريم لبعض الفرق والديانات القديمة التّي كانت منتشرة في عهد النّبي صلّي الله عليه وسلّم، فرد عليهم ونقض أقوالهم، فحكي عن الدهرية الذين أنكروا الأديان والإلهيات والنبوات، وقالوا: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[1]. وردّ عليهم بمختلف الدلائل ، وردّ علي أولئك الذين ألهّوا الكواكب وعبدوها كالصابئة ، بمثل آية إبراهيم عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[2]، ورد علي من ألّه عيسي عليه السّلام وقال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، وورد على منكري النّبوات بمثل قوله تعالى:

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[4]

1- سورة الجاثية ، الآية 23.
2- سورة الأنعام ، الآية 77.
3- سورة ألي عمران ، الآية 58.
4- سورة الإسراء ، الايتان 94-95

ورد على منكري البعث بمثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[1]

كما عرض القرآن الكريم لمسائل التكليف والجبر والاختيار، وأبان الحجة فيها، فحكى عن طائفة من المنافقين (يوم أحد) أنهم قالوا: ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[2]، وقالوا: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾[3]، ورد عليهم قولهم، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو دعوته ويجادل مخالفيه، فقال تعالي: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]

فكان من الطبعي أن ينهج علماء العقيدة هذا المنهج فيردوا علي المخالفين، ويوسعوا في الدفاع توسع المخالفين في الهجوم، ويجددوا الحجج في الرد كما جدد المخالفون الحجج في الطعن، فكان هذا من أسباب نشأة علم الكلام.

2. اختلاف وجهات نظر المسلمين، ومن ثم اختلاف الآراء والمذاهب:

وبيان ذلك أن المسلمين لما فرغوا من الفتح واستقر بهم الأمر أخذ عقلهم يتفلسف في الدين فصاروا يثيرون خلافات دينية، ويجتهدون في بحثها والتوفيق بين مظاهرها، ويتوسعون في النظر والبحث،

1- سورة الأنبياء، الآية 103
2- سورة آل عمران من الآية رقم 154
3- سورة آل عمران، من الآية رقم 154

فكان ذلك يستتبع ـ حتماً ـ وجهات النظر، فعلي سبيل المثال: كان المسلمون الأولون يؤمنون بالقدر خيره وشره، ويؤمنون بأن الإنسان مكلف بما أمره الله تعالى به، وكان إيمانهم بذلك قوياً مجملاً من غير تعميق في بحث، ولا تفلسف في نظر، فجاء من بعدهم يجمعون الآيات الواردة في هذا الموضوع ويؤولونها فرأوا من ناحية أن الله تعالي يقول مثلاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾[2]

ويقول تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[3] فقالوا إن هذه الآيات وأمثالها يدل ظاهرها على الجبر والتكليف بما لا يطاق وقد أخبر الله تعالي في كلتا لآيتين الأخيرتين علي شخص معين أنه لا يؤمن قط ومع هذا كلفه بإيمان.

ومن ناحية أخرى فإن القرآن الكريم مملوء بالآيات الدالة على أنه لا مانع لأحد من الإيمان.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[4]

1- سورة البقرة، الآية 5
2- سورة المدثر، الآيات من (11-17)
3- سورة المسد، الآيات من (1-3)
4- سورة الكهف، الآية 29

وقال تعالى: ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ﴾[1]

وقال تعالي: ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[2]

وقال تعالي: ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ﴾[3]

إذن فكيف يتم التوفيق بين هذه الآيات جميعاً؟ وهل الإنسان مجبر أم مخير؟ وكيف يكون الإنسان مختاراً ومجبراً في آن واحد؟ وما معني اختيار الإنسان إذا كان له اختيار؟ وماذا يعني كون الإنسان مجبراً إذا كان لايفعل شيئًا إلا بأمر الله تعالي؟ كل أولئك في الحقيقة أسئلة تعرض لعقل الإنسان إذا ما أمعن النظر في بعض نصوص القرآن الكريم، وهكذا جمع علماء المسلمين الآيات التي ظاهرها التعارض، وأخذوا يبحثونها البحث العلمي الفلسفي، ويوازنون بينها فأداهم ذلك إلى اختلاف طويل وجدال عميق، فكان هذا ــ أيضاً ــ من أسباب علم الكلام .

3. اختلاف المسلمين في فهم المسائل السياسية:

اختلف المسلمون حول بعض المسائل، وأصبحت الأحزاب السّياسية فرقاً دينية، فحزب علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ تكوّن منه الشّيعة، ومن لم يرض بالتّحكيم من جنده تكوّن منهم الخوارج، ومن كره خلاف المسلمين كوّن فرقة المرجئة ولعل أوضح مثل لذلك مسألة الخلافة، فقد توفي رسول الله صلى الله عليهم

1ـ سورة الإسراء ،الآية 94

2 ـ سورة النساء ، من ال؟آية 164

3ـ سورة النساء ،من الآية 39

فرقة بعد ذلك إلى اصطناع علماء وشعراء ليدعموا بهم معتقداتهم، فصار الأمر متعلقاً بالدين ومسائله العقدية تعلقاً كبيراً، وهكذا يتبين لنا أن الخلافات الحادثة في صدر الإسلام قد ارتبطت بالدّين وعقائده ارتباطاً وثيقاً، وترتب عليها انقسام المسلمين إلى فرق متباينة خائضة في البحث في العقائد على نحو جدلي خلافي، فكان هذا من أهم أسباب نشأة علم الكلام عند المسلمين:

الأسباب الخارجية:

أما الأسباب الخارجية لنشأة علم الكلام فأهمها :

أ- التقاء الإسلام بديانات وحضارات متعددة :

فقد التقى الإسلام بديانات وحضارات الأمم المفتوحة، حيث إن كثيراً ممن دخلوا الإسلام بعد الفتح كانوا من الديّانات المختلفة: يهودية ونصرانية، ومجوسية، ومانوية، وزرادشتية، وبراهمة، وصابئة.. إلخ، وكانوا قد نشأوا على تعاليم هذه الديانات وشبوا عليها، وكان بعض من أسلم منهم علماء في هذه الديانات فلما اطمأنوا وهدأت نفوسهم، واستقرت على الدين الجديد (دين الإسلام) أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم، ويثيرون كثيراً من مشاكله ويلبسونها لباس الإسلام، وهذا ما يعلل ما نراه في كتب الفرق من أقوال بعيدة كل البعد عن الإسلام، فهذا أحمد بن حائط يقول في التناسخ مثل ما يقول البراهمة، ويقول في المسيح عليه السّلام قولاً يشبه قول النّصارى إلى غير ذلك من الأمثلة.

ولقد كان مثل هؤلاء أصحاب علم وفلسفة، ولهم عناية بالجدل في العقائد ولعله قد ترتب على احتكاكهم بالمسلمين أن وجدوا لدى بعضهم حب الجدل والنقاش في مسائل العقيدة على نحو ما هو موجود عند اليهود والنصارى .

ب- اهتمام بعض الفرق الإسلامية بالدّعوة إلى الإسلام والرّد على المخالفين:

إنّ الفرق الإسلامية الأولى وبخاصة (المعتزلة) جعلت من أهم أغراضها الدّعوة إلى الإسلام والرّد على المخالفين، وما كان يتسنى لهم الرّد إلا بعد الاطلاع على أقوالهم وأدلتهم، فدفعهم ذلك إلى الإحاطة بالفرق الأجنبية وأقوالها وحججها، فأصبحت البلاد الإسلامية تعرض فيها كل الآراء والديانات ويتجادل فيها، ولا شك أن الجدل يستدعي النظر والتفكير، ويثير مسائل تستدعي التأمل وهذا من دون شك يعتبر سببا من أسباب نشأة علم الكلام.

ج- حاجة علماء الكلام من المسلمين لدراسة الفلسفة والمنطق:

إنّ حاجة المتكلمين إلى الفلسفة لوقوفهم أمام خصومهم يجادلونهم بمثل حججهم حتى يستطيعوا نقض آرائهم اضطرتهم إلى أن يقرأوا الفلسفة اليونانية، وينتفعوا بالمنطق وباللاهوت[1] اليونانيين، فنرى (النّظام) يقرأ لأرسطو ويرد عليه (وأبا الهذيل العلاف) كذلك، ونرى كثيراً من المعتزلة يتكلمون في (الطفرة)[2] والتولد[3]، والجوهر[4] والعرض[5]، والجوهر والجوهر الفرد)[6] في بحوث المتكلمين مما يجعل هذا كله سببا من أسباب نشأة علم الكلام في الإسلام.

1- علم اللاهوت في العصور المتأخرة: مصطلح نصراني المقصود به ما يتعلق بالله تعالى وصفاته، وعلاقته بالعالم والإنسان، ويرادفه علم الكلام وعلم الربوبية، وعلم اللاهوت عندهم: طبيعي وديني.

2- القول بالظفرة: منسوب إلى إبراهيم بن سيار النظام (المتوفي عام 221هـ) ومعنى الطفرة عنده: أنه قد يجوز أن يكون الجسم الواحد في مكان، ثم يصير إلى المكان الثالث، ولم يمر بالثاني علي جهة الطفرة.

3- التولد: هو أن يحصل الفعل من فاعله بتوسط فعل آخر: كحركة المفتاح بحركة اليد، وقد اختلف المتكلمون في التولد ونتائجه، فمثلاً اختلفوا فيمن رمى سهماً أو طلقة نارية فقتل أو جرح به إنساناً أو غيره، وفي حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طائفة من العلماء: ما تولد من ذلك عن فعل إنسان أو حي فهو الإنسان والحي، واختلفوا فيما تولد من غير حي، فقالت طائفة هو فعل الله وقالت أخرى: ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون: كل ذلك من فعل الله تعالى، وباختصار فإن التولد يقصد به العلية أو السببية، أي: من هو الفاعل لما يقع من أفعال؟

4- الجوهر: ما قام بنفسه.

5- العرض: ما قام بغيره.

6- الجوهر الفرد: هو الجزء الذي لايتجزأ (الذرة) وهو لا طول له، ولا عرض له، ولا عمق له، ولا اجتماع فيه ولا افتراق [illegible]

الخلاصة

علم الكلام: علم يبحث في العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرّد على المخالفين من أصحاب الفتن والضّلالات، وموضوعه: الله جل وعلا -، ورسله - عليهم الصّلاة والسّلام - وما علم من السّمعيات والإيمان بها.

وسمي (علم الكلام *) بهذا الاسم: لأن الكلام هو الوسيلة الأولى التي يعتمد عليها هذا العلم فالجدل والحوار: أساسهما الكلمة، فهي البداية والنهاية للإقناع وإبداء الرأي ودحض ما لم يقبله العقل.

ولنشأة علم الكلام أسباب داخلية، منها:

- ❖ احتواء القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي **تعرضت** لأهل الديانات القديمة والعقائد الفاسدة فردت عليهم، **وأمرت النبي** - صلّى الله عليه وسلّم - بمجادلتهم بالحكمة والحجة.
- ❖ الاختلاف في المسائل السياسية كان سبباً في **الخلاف الديني**، وتكوّن الفرق التي أخذت تجتهد في فهم **النّصوص وتأويلها** لدعم موقفها.

وخارجية، مثل:

- ❖ دخول بعض الأعاجم الإسلام ظاهراً، وما أثاروه من شبه اضطرت علماء المسلمين للرد عليهم.
- ❖ اهتمام بعض الفرق الإسلامية "وبخاصة المعتزلة وأهل السّنة" بالدعوة إلى الإسلام والرد على المخالفين.
- ❖ احتياج علماء الكلام لدراسة الفلسفة والمنطق لمقارعة خصومهم، ومجادلتهم بمثل حججهم.

تعريفه:

علم يبحث فيه عر

الصّفات وما يجب

وما يتوقف عليه

اتصّافهم به من ال

به منها.

وعرفه(الإيجي) ف

العقائد الدّينية علي

عنها.

والمراد بالعقائد ك

تعالي عالم قادر

سّنة وصلاة الظ

والمراد بالدينية

وسلّم -.

وعرّفه ابن خلد

العقائد الإيمانية

الاعتقادات عن

موضوعه:

هو المعلوم من

بعيداً. وقيل موض

والسّميعات من

الموجود من حيث

موضوعه :

بالأخبار ...

علم الكلام

من أعظم ما ابتلى به المسلمون بعد القرون الثلاثة الأولى المفضلة التي هي خير القرون - كما قال - صلى الله عليه وسلم - ((خير القرون قرني (أو خير الناس قرني) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) ألا هو علم الكلام الذي حقد به المسلمون في فقه عقيدتهم الصحيحة التي مصدرها الكتاب والسنة

فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد صور المستشرق (جولد زيهر) ما كان لالتقاء الإسلام بالمسيحية وغيرها من الديانات من أثر في بحث المسلمين في عقائدهم على صورة فلسفية قائلاً: (.. ليس التأثير للكتب المترجمة وحدها، بل كان للاختلاط بين المسلمين وغيرهم من العناصر الأخرى كالمسيحيين دخل في هذا التأثير، ففي القرن السابع الميلادي حصل نقاش بين المسلمين حول القضاء والقدر وحرية الإرادة لتسرب مثل هذا النقاش إليهم من المسيحيين الشرقيين بحكم الاختلاط الشخصي وغير هذه المسألة من الأفكار الفلسفية الإغريقية، كأفكار أرسطو، والأفلاطونية الحديثة، تسربت إليهم بواسطة النقل الشفهي أكثر من الترجمة والنقل).

إنّ المشكلة التي أشار إليها (جولد زيهر) وهي مشكلة القدر، قد أثيرت من جانب أفراد نصارى اعتنقوا الإسلام، ولم يكونوا مخلصين له، يدلنا على ذلك أن: (غيلان الدمشقي) كان قبل إسلامه قبطياً، وأنه كان من أبرز دعاة مسألة القدر.

وكما أثار بعض من أسلم من النّصارى شبهات عقدية حول القدر نجد ــ أيضا ــ بعض من أسلم من اليهود قد أثار شبهات التشبيه والتجسيم، ووضع لها ما وضع من الأخبار.

ولعل (عبد الله بن سبأ) الذي كان يهودياً وأسلم هو من أثارها إلى جانب غلوه ــ نفاقاً وخداعاً ــ في علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ.

مما سبق يتبين لنا ــ بوضوح وجلاء ــ أن كثيراً من الفتن التي أثيرت في الإسلام جاءت من جانب بعض من أسلموا رياء ونفاقاً من اليهود وغيرهم الذين بثوا سمومهم في المجتمع الإسلامي، وحاولوا بشتى الطرق زرع الفتنة والفرقة بين أفراده.

بيزنطية

المناقشة

1. ما هو علم الكلام؟ وما موضوعه؟ ولماذا سُمّي بهذا الاسم؟
2. لنشأة علم الكلام أسباب خارجية. اذكرها .
3. علّل ما يأتي:
   1. التقاء الإسلام وحضارات أخرى عامل من عوامل نشأة الكلام .
   2. لم يظهر علم الكلام علماً مستقلاً أيام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
   3. كان أغلب الخلاف في مبادئ الأمر سياسياً، ثم تحول إلى خلاف ديني.
   4. حرص علماء المسلمين ورغبتهم في الاطلاع على آراء وشبه الفرق المخالفة.

الفرق الإسلامية الكبرى

إنّ الفرق الإسلامية الكبرى يمكن حصرها في خمس فرق: أهل السّنة، والمعتزلة ، والمرجئة، والشّيعة، والخوارج. وقد انقسمت كل فرقة أقساماً كثيرة تتباعد أو تتقارب بينها في التّمسك بأصل المذهب الذّي تنتحله، عدا (أهل السّنة) فإنهّم لم يفترقوا إلا يسيراً، وفي مسائل قليلة من العقائد أو الاستدلال، أو الحلال والحرام وليس فيما حدث من هذا تضليل ولا تفسيق. وفيما يلي تعريف بفرق ثلاث هي: أهل السّنة (الأشعرية والماتريدية)، والمعتزلة، والشّيعة.

أولاً: أهل السّنة والجماعة

يذكر كثير من مؤرخي الفرق أن رئيس أهل السّنة والجماعة في علم الكلام رجلان: أولهما: شيخ السّنة وإمام المتكلمين وناصر سنّة سيد المرسلين والمدافع والساعي في حفظ عقائد المسلمين: أبو الحسن الأشعري البصري.

وثانيهما: هو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي.

ويقول الزبيدي: إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية.

ويذكر عبد القاهر البغدادي في كتاب: (الفرق بين الفرق) أن مذهب أهل السّنة والجماعة ــ ويقصد مذهب الأشعري ــ هو بعينه مذهب الصّحابة والتّابعين ومن تلاهم من الأئمة الأعلام ، إذ يجعل أول متكلمي أهل السّنة من الصّحابة: علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ حيث ناظر الخوارج في مسألة الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة والقدر. ويتلوه عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ حيث تبرأ من معبد الجهمية في نفيه القدر.

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين: عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ حيث رد على القدرية في رسالة له، ثم زيد بن علي زين العابدين، ثم الحسن البصري، ثم الشعبي، ثم الزّهري وغيرهم.

وأول متكلمي أهل السنة الفقهاء أبو حنيفة النعمان والشّافعي ـ رحمهما الله تعالى ـ ثم جاء بعد هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري الذي يصفه البغدادي بقوله: "الإمام أبو الحسن الأشعري الذي صار شجىً في حلوق القدرية"، ثم يذكر كثيرا من الأئمة الأعلام سواء أكانوا من تلاميذ الأشعري، أم من الذين ارتضوا آراءه وساروا على منهجه في عرض مسائل العقيدة والرّد على المخالفين.

ومنهم أئمة الفقه، وأئمة الحديث والإسناد، وجمهرة من أهل النّحو واللّغة والأدب والقراءات والتفسير والسير والتواريخ.

ويرى البغدادي أن هناك أسباباً قاطعة بأن أهل السنة هم ـ وحدهم ـ الفرقة الناجية لأنهم ـ وحدهم ـ الموافقون للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بينما بقية الفرق الأخرى تخالف الصحابة أو تطعن فيهم.

أما الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والجماعة فقد ذكر أن عدتها خمسة عشر ركناً اتفقوا على قواعدها، وضللوا من خالفهم فيها[1].

بناءً على ذلك فإن أبا الحسن الأشعري، وأبا منصور الماتريدي، ومن سلك طريقهما كانوا يسيرون على نهج السلف في فهم العقائد، وقد كان سندهم في ذلك القرآن الكريم الذي يلجؤون إليه في معرفة كل ما يتصل بالعقيدة ومسائلها المتعددة، معتمدين في ذلك على توجيه أساليب اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والفهم الصحيح، فإن تعذر عليهم شيء منها توقفوا وفوضوا تأويلها إلى الله تعالى.

1 ـ ومن أراد معرفة هذه الأصول فليرجع إلى كتاب: "الفرق بين الفرق" للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص: 323 وما بعدها.

وقد سُمّي أتباع أبي الحسن الأشعري بـ (الأشعرية) وأبي منصور الماتريدي بـ (الماتريدية) ، ولم يكن بينهما خلاف إلا في أمور يسيرة، مثل: كون المعرفة بالعقل أو بالشرع، ومفهوم الإيمان والإسلام، ومعنى القضاء والقدر، وغير ذلك مما يقع عادة بين أهل الطريقة الواحدة ولا يعتبر خلافاً بمعنى الكلمة كما سيأتي .

أولاً - أبو الحسن الأشعري نسبه ونشأته :

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن عبدالله بن بلال ابن أبي موسى الأشعري "الصحابي الجليل المعروف". ولد بالبصرة سنة (260 هـ) وتوفي سنة (330هـ) .

نشأ (أبو الحسن) على مذهب الاعتزال، وكان تلميذاً لرئيسهم – في عصره – (أبي علي الجبائي) ، وتفقه على (أبي إسحاق المروزي الشافعي وأبي زكريا يحيي الساجي) .

يقول عنه ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري):

(... كان – يقصد الأشعري – صاحب نظر في المجلس، وذا إقدام على الخصوم ولم يكن من أهل التصنيف وكان أبو علي الجبائي صاحب تصنيف ولا يجيد المناظرة، فيتولى المناظرة أبو الحسن نيابة عنه ...) .

استمر الأشعري على مذهب الاعتزال مدة طويلة، زعم بعضهم أنّها بلغت أربعين عاماً، حتى كان إماماً من أئمتهم .

ترك الأشعري مذهب الاعتزال:

ورد في تحول أبي الحسن الأشعري عن مذهب الاعتزال عدة روايات منها :

- أنّه لم يقتنع بما ذهب إليه المعتزلة في قضية الأصلح والتّعديل، فوقعت مناظرة بينه وبين الجبائي ذكرها ابن خلكان في (وفيات الأعيان) الجزء الثالث صحفة رقم 398 على النحو الآتي:

السنة والجماعة)، وهو ــ في كل آرائه ــ كان مقرراً لما يقول به السلف مدافعاً عن العقيدة الحقة بطريقي النقل والعقل.

يقول صاحب كتاب : طبقات الشافعية الكبرى:

(اعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً ، وإنما هو مقرر لمذهب السلف، مناضل عما كان عليه صحابة رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنّه عقد على طريق السّلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك،السالك سبيله في الدلائل، يسمى أشعرياً... ولقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية ، والحنفية وفضلاء الحنابلة).

- ويذكر المقريزي في (خططه) ما عليه المذهب الأشعري منذ نشأته إلى عهده، فيقول: (وحقيقة مذهب الأشعري ــ رحمه الله تعالى ــ أنه سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم[1] ، وناظر على قوله هذا، واحتج لآرائه فمال إليه جماعة وعوّلوا على تلك الآراء منهم: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، والشيخ إبراهيم بن محمد بن مهران الإسفاريني، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، والإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم، فنصروا مذهبه، وناظروا عليه، وجادلوا فيه،واستدلوا له في مصنفات لاتكاد تحصر، فانتشر مذهب

1- المجسمون : هم الذين يصورون الله تعالى بصورة إنسان ، ويصفونه بالصفات البشرية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

اشتدت الملحمة بين الفقهاء والمحدثين وبين المعتزلة كانت المناظرات تجري في علم الكلام، كما كانت تجري في الفقه وأصوله.

وقد عاش الماتريدي في تلك الحلبة التي كان السباق فيها لنتاج الفكر والعقل، ولكن بمنهج ربما يختلف عن منهج الأشعري، وإن تلاقيا في كثير من النتائج لا في كلها.

وقد قرر كثير من علماء الحنفية أنّ النتائج التي وصل إليها الماتريدي تتفق تمام الاتفاق مع ما قرره أبوحنفية ــ رحمه الله تعالى ــ في العقائد.

الخلاصة

- الفرق الإسلامية أشهرها: أهل السّنة، المعتزلة، المرجئة، الشيعة، الخوارج، وقد حدثت انقسامات داخل كل فرقة، لكن أهل السنة لم يفترقوا إلا في مسائل قليلة لا تؤثر في أساس العقيدة.
- إذا أُطلق أهل السّنة: فالمراد بهم (الأشاعرة والماتريدية)، وهو مذهب الصحابة والتابعين الذين جعلوا القرآن الكريم منهلهم في كل ما يتصل بالعقيدة. بعض
- نشأ الأشعري على مذهب الاعتزال، ثم تحول عنه بسبب عدم اقتناعه برأي المعتزلة حول بعض القضايا، أو أن السبب كان أمراً دينيا وهداية نبوية.
- لقد كان تعلق الناس به ملحوظاً بسبب نشاطه العلمي المتميز، وخلقه الكريم،وهو أول من ناصر أهل السنة، وكان في كل آرائه مقرراً لما يقول به السلف، ومنهجه مبني على الاستدلال بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية.

المبادئ العامّة للمعتزلة

وتسّمى الأصول الخمسة، وهي الجامعة لمذهب المعتزل، فكل من يبتعد عن طريقها ويسلك غير سبيلها فليس منهم ولا يطلق عليه اسم المعتّزلة.

والمقصود بكلمة أصول: هي القواعد الأساسية التي تُعتمد في تصحيح قضايا العلم ومسائله مع الاستدلال.

ولكن ما السّبب الذّي حمل المعتزلة على الاقتصار على هذه الأصول الخمسة؟ يجيب القاضي عبد الجبار(ت 415هـ) في كتابه (شرح الأصول الخمسة)، على هذا السؤال بقوله: لا خلاف أن المخالفين لنا لا يَعْدون[1] أحد هذه الأصول، ألا ترى أن خلاف الملحدة، والمعطلة[2]، والدّهرية[3]، والمشبهة – قد دخل في التّوحيد – وخلاف المجبرة – بأسرهم – داخل في باب العدل، وخلاف المرجئة داخل في باب الوعد والوعيد، وخلاف الخوارج داخل تحت المنزلة بين المنزلتين، وخلاف الإمامة داخل في باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ويرى القاضي عبد الجبار – وهو رأي المعتزلة بعامة – أن المخالف – في هذه الأصول الخمسة – إما كافر، أو فاسق، أو مخطئ، فمن خالف في التوحيد ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته له، وأثبت له ما يجب نفيه عنه، فإنه يكون كافراً.

وأمّا من خالف في العدل، وأضاف إلى الله تعالى القبائح كلّها: من الظلم، والكذب، وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب، فإنّه يكفر أيضاً.

1- لا يعدون : أي لا يزيدون عليها شيا.

2- المعطلة : هم الذين يقولون بعدم الأعيان ، وأن العالم لا صانع له ولا مدبر .

3- الدهرية : هم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر. وهم الملاحدة

يستحقه، والإقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعاً، لأنه لو علم ولم يقر ،أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحداً.

وقد عُدَّ هذا المبدأ من أهم مبادئ المعتزلة،لأنهم ذهبوا في تفسيره تفسيراً خاصاً وبلغوا في تحليله أقصى حد، ومن نسب إليهم خاصة، وإن كان المسلمون جميعاً مقرون بالتّوحيد، وباعتقاد أن: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

لذلك نرى المعتزلة قد تمسكوا بآيات التنزيه فشرحوها وحللوها، وتعرضوا للآيات التّي ظاهرها يدل على التجسيم مثل الاستواء، والوجه،واليدين وأولوها تأويلاً يتفق مع التنزيه لأن الإسلام دين توحيد وتنزيه،وعليه فقد بسطوا الرأي في التوحيد والتنزيه وقالوا:إن الله واحد ليس كمثله شيء وليس بجسم ولا صورة ولا جوهر ولا عرض ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجري عليه المماسة ولا الحلول في الأماكن وليس بمحدود،ولا والد ولا مولود،ولا تدركه الحواس،ولا يقاس بالنّاس، إلى غير ذلك من صفات السلب.

لذلك نراهم قد حللوا التنزيه تحليلاً فلسفياً، وأوضحوا معنى التّوحيد في جلاء كما يدل عليه العقل ، وشرحوا قول الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] شرحاً وافياً دقيقاً يتماشى مع هذا الأصل العظيم، وغرضهم من ذلك كله هو تنزيه الله تعالى وإثبات الوحدة الكاملة التّامة له ــ جلّ شأنه .

2. العدل:

الأصل الثّاني من أصول المعتزلة:العدل، والعدل والتّوحيد أهمّ أصول المعتزلة وكانوا يسمّون أنفسهم: أهل العدل والتوحيد.

1- سورة الشورى ، من الآية 9 .

ثالثاً : الشّيعة

حقيقتها ونشأتها :

الشيعة لغة: هم الصحب والأتباع، والمشايعة: الموافقة والمناصرة.

وفي عرف الفقهاء والمتكلمين ــ من الخلف والسّلف ــ هم أتباع علي ابن أبي طالب وبنيه ــ رضي الله عنهم ــ.

يقول الشهرستاني معرفاً بالشّيعة: هم الذّين بايعوا علياًــ رضــي الله عنه ــ بالخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيّة، إما جلياً، وإما خفيًّا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده.

وتختلف آراء الباحثين حول تحديد البداية الزمنية للشيعة فبعض هــذه الآراء ترجع بها إلى وقت مبكر وهو فترة نزول الرسالة على محمــد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ حيث وجدت جماعة تفضل علياً على غيره مــن الصحابة وتتخذه رئيساً، من هؤلاء: عمار بن ياسر، وأبو ذر الغفــاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبــد الله، وأُبَــي بــن كعب، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الطفيل عامر بن وائلة، وبنو العباس، وبنو هاشم.

وبعضهم يرجع بها إلى الموقف الذي نشأ حول الخلافة إثــر انتقــال الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ إلى الرفيق الأعلــى فهنــاك التــفّ حول "علي" ــ رضي الله عنه ــ جماعة ترى أنه أحــق بالخلافــة مــن غيره.

وبعض الباحثين يرجع بها إلى أيام الثورة على عثمان بــن عفــان ــ رضي الله عنه ــ.

وآخرون يذهبون إلى أن الشيعة لم تظهر كمــذهب إلا بعــد أن قتــل الحسين بن علي ــ رضي الله عنهما ــ.

والأمر في هذا الخلاف يرجع إلى استعمال كلمة: (الشيعة)، هل هي مجرد الالتفاف حول علي ــ رضي الله عنه ــ واتخاذه رائداً ومثلاً؟ أو هي التطلع إليه كقائد سياسي لجماعة المسلمين؟،أو هي اتخاذه إماماً نسجت حوله عقائد الشّيعة؟.

ومن هنا يأتي خلاف آخر، وهو: هل التشيع عقيدة دينية خالصّة، أو فكرة سياسية؟ أو شيء آخر؟ يذهب الشّيعة إلى أن التشّيع عقيدة دينية خالصة، ويذهب آخرونَ من المسلمين إلى أن التشّيع فكرة سياسية خالصة وهناك من يرى أنه وجدان عاطفي خالص.

فأما الذين يذهبون إلى أن التشّيع عقيدة دينية، فحجتهم في ذلك شواهد نقلية مفادها: أن النّبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ كرّر ذكر شيعة علي، ونوّه عنهم بأنهم هم الآمنون يوم القيامة، وهم الفائزون والراضون والمرضيون، وأنّ الرّسول ــ عليه الصّلاة والسّلام ــ قال:" من كنت مولاه فعلي مولاه اللهّم وال من والاه، وعاد من عاداه"، وهناك أحاديث أخر كثيرة يستشهد بها الشّيعة، منها قوله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ:" علي مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي"، وقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ:" لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"، إلى غير ذلك من الأحاديث التي يتمسك بها الشيعة ويرفضها غيرهم، أو يؤولونها تأويلاً مخالفاً.

وأما الذين يذهبون إلى أن التشيع مجرد فكرة سياسية فحججهم كثيرة، منها: أن حق الأقربين في وراثة الرئاسة أمر لا يقره الإسلام، وقد ورد أن الرسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ قال:" إن الأنبياء لا يورثون"، ولو شاء الله تعالى لجعل لمحمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ ولداً وهو الرسول الذي اصطفاه واجتباه .

والذين بايعوا علياً بإمارة المؤمنين لم يبايعوه لأنّه رمز ديني، أو لأنّه وصيّ النّبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ، بل بايعوه لأنهم رأوا أنه أحق المسلمين بالخلافة تماماً كما فعلوا مع السابقين، مثل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ــ رضي الله عنهم جميعاً ــ.

فالشيعة ــ إذن ــ: لم تكن أول الأمر فرقة دينية بل فكرة سياسية تعبر عن رأي سياسي في أن علياً أحق بالخلافة من معاوية ، وشاهد آخر يتمثله الذين يقولون بأن التشيع بدأ مذهباً سياسياً وليس عقيدة دينية، وهو إجماع الفرس ، ولا زالوا حتى اليوم على التشيع لآل علي، ذلك كما يقول هؤلاء إن: الفرس يعتقدون أنهم أنساب الحسين لأنه تزوج بنت (يزدجر) بعد أن وقعت أسيرة في إيدى المسلمين ،وأنجبت له عليا زين العابدين وإذاً فهم أصول علي ، ويمكن الربط بين تحمسهم لابن ابنتهم وبين تشيعهم ، فتشيعهم ــ والحال كذلك ــ لا يمكن أن يقال إنه تشيع ديني خالص ، بل هو أقرب إلى تشيع العصبية منه إلى العقيدة ، وتشيع العصبية يساوي تشيع السياسة .

والذين يرون أن التشيّع فكرة وجدانية عاطفية ليس لها علاقة بالعقيدة الدينية ولا بالفكرة السياسية يقولون : إن آل البيت ينبغي حبهم وتكريمهم والتعلق بهم ، لأنهم أهل الرسول الكريم ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ وعترته وأحبابه ، فمن من المسلمين لا يحب فاطمة والحسن والحسين زينا شباب أهل الجنة ، وهما اللذان أدخلا السرور والبهجة على قلب رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ حينما كانا طفلين صغيرين جميلين يلاعبهما ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ فيطرب ويفرح لوجودهما ، وذلك لأن محمداً ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ لم تكن عظمته في كونه رسولاً فحسب، بل كانت ــ أيضاً ــ في كونه إنساناً عظيماً يفيض قلبه بالحب

والحنان · ويزداد حب آل البيت في قلوب المسلمين إذا ما نظروا إلى ما حل بهم من تعذيب وتشريد وتقتيل ·

ومع ما تقدم كلّه فإن جمهور المسلمين لا يغالون في حب آل البيت إلى درجة التقديس والعبادة ، بل يعتقدون أن جميع صحابة رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — نجوم وأعلام هدى — رضي الله عنهم وأرضاهم جميعاً — ·

وعلى كل حال فقد قامت الشيعة ظاهرة — كما يفهم مما سبق — في آخر عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ونمت وترعرعت في عهد علي — كرم الله وجهه — · رضي الله عنه

ولقد كان العصر الأموي محرِّضاً على المغالاة في تقديره علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — وذلك لأن معاوية سنَّ سنة سيئة في عهده ، وفي عهد ابنه (اليزيد) ومن خلفه من الأمويين حتى عهد عمر بن عبد العزيز[1] — رضي الله عنه — وتلك السنة هي لعن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — عقب تمام الخطبة ، ولقد استنكر ذلك بقية الصحابة ، ونهوا معاوية وولاته عن ذلك ، حتى لقد كتبت أم سلمة زوج رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — إليه كتاباً تنهاه ، وتقول فيه : إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأشهد أن رسول الله — صلّى الله عليه وسلّم — قد أحبه ، وزيادة على ذلك ففي عهد اليزيد قُتِلَ الحسين بن علي الذي هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة — كما ورد في الأثر ، وأخذت بنات الحسين وبنات علي سبايا إلى يزيد بن معاوية وهنَّ بنات ابنة النبي — صلّى الله عليه

١- وذلك بخروج الغاية إذ أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه - لم يفعل مثل ما فعله خلفاء - بني أمية قبله، فهو يعتبر من الخلفاء العادلين الصادقين، وعدّه علماء المسلمين الخليفة الخامس - جزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين .

وسلّم ـــ، كل هذا حمل بعض المسلمين إلى المغالاة في تقدير أولئك الذين غالى الأمويون في إيذائهم ·

وهنا يقول السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء : (كل ذلك كان بطبيعة الحال مما يزيد التشيع شيوعاً وانتشاراً ، ويجعل لعلي وأولاده المكانة العظمى في النفوس ، ويغرس المحبة في القلوب ، والمظلومية ـ كما يعلم كل أحد لها أعظم المدخلية) ·

وهكذا انتشرت الشيعة هنا وهناك : في مصر وفي العراق وما جاورها وبخاصة العراق حيث أقام به علي ـ رضي الله عنه ـ مدة خلافته ، وفيه التقى بالناس ، ورأوا فيه ما أثار تقديرهم وحبهم الشديد ، ولم يعلنوا الولاء بقلوبهم ـ قط ـ للأمويين ، فرماهم معاوية في خلافته بزياد بن أبيه ، ولكنه لم يستطع اقتلاع المعارضة من النفوس ، وفي خلافة عبدالملك بن مروان ولّى الحجاج بن يوسف الثقفي العراق فاشتد في القمع ، وكلما اشتد قمعه اشتد المذهب الشيعي في نفوس معتنقيه ·

الخلاصة

- ❖ الشيعة عند الفقهاء والمتكلمين هم أنصار على بن أبي طالب وبنيه ـ رضي الله عنهم ـ وآراء الباحثين حول بداية التشيع متعددة :
- ❖ هناك من يرى أنه موجود منذ نزول الرسالة على محمّد ـ صلّي الله عليه وسلّم ـ حيث وجدت جماعة تفضل علياً ـ رضي الله عنه ـ على جميع الصحابة ·
- ❖ وبعضهم يرجع بولادة التشيع إلى الموقف الذي نشأ حول الخلافة إثر انتقال الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلى الرفيق الأعلى ·

5. أبو محمد بن علي (57_114هـ) (الباقر).
6. أبو عبدالله جعفر بن محمد (82 _ 147هت) (الصادق).
7. أبو إبراهيم موسى بن جعفر (128_182هت) (الكاظم).
8. أبو الحسن علي بن موسى (148_203هـ) (الرضا).
9. أبو جعفر محمد بن علي (195_220هـ) (الجواد التقي).
10. أبو الحسن علي بن محمد (232_260هـ) (الهادي النقي).
11. أبو محمد الحسن بن علي العسكري (232_260هـ) (الزكي).
12. أبو القاسم محمد بن الحسن (المولود عام 256هـ) (المهدي القائم بالحجة).

أهم مبادئهم :

يعتقد الاثنا عشرية أن الإمام الأخير هو الحجّة في عصرنا الغائب المنتظر، كما يعتقدون أنّ الإمامة أصل من أصول الدين التي لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبيّ في وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة.

وللإمام ما للنبيّ من الولاية العامّة على النّاس لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان عنهم، وعلى هذا فالإمامة ــ في نظرهم ــ استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه الذي يوجب نصب الإمام بعد الرّسول ــ صلّى اله عليه وسلّم ــ .

ويرى الإمامية أن الإمام لابد أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ماظهر منها وما بطن، ومن سن طفولته إلى موته عمداً أو سهواً.

وذلك لأن الأئمة هم حفظة الشّرع والقوّامون عليه، حالهم في ذلك حال الأنبياء، وعليه فالإمام يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال

الكبيرة من منظور الفرق الإسلامية

هذه المسألة مفرعة عن الخلاف بين العلماء في موضوع الإيمان الشّرعي، هل هو التّصديق بالقلب فقط؟ أو هو التّصديق مع الإقرار والعمل في كون العمل جزءاً من الإيمان؟ كما أن لها صلة بأصلين من أصول المعتزلة هما: المنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، وقبل الدخول في تفصيل ذلك كلّه نشير أولاً إلى تعريف الكبيرة لغة واصطلاحاً.

الكبيرة: كلمة مفردة وجمعها كبائر، وهي – في اللّغة –: الفعلة القبيحة التي يعاقب عليها شرعاً.

وفي الاصطلاح: اختُلف فيها من حيث هي؛ أي في تحديدها بالعدّ، أو ضبطها بأمر كلّي.

روي عن ابن عمر – رضي الله عنهما– أنّه قد عرّفها بالعدّ، وقال إنها تسع، وهي: الشّرك بالله، وقتل النّفس بغير حق، وقذف المحصنة، والزّنا، والفرار من الزّحف، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، والإلحاد في الحرم، وقول الزّور، فهذه تسعة أشياء كل منها كبيرة.

وهناك رواية لأبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ الكبائر عشر، التّسع المذكورة في رواية ابن عمر وزاد عليها أكل الربا.

وفي رواية الإمام علي – ~~كرم الله وجهه~~ – أنّ الكبائر اثنتا عشرة؛ [رضي الله عنه] العشر المتقدمة وزاد عليها السّرقة وشرب الخمر، فهذه روايات ثلاث تعرف الكبيرة بالعد والتعريف بالعدّ من قبيل التّعريف بالاسم.

ومن العلماء من ضبطها بأمر كلّي، فمنهم من قال هي كل معصية، ومنهم من قال هي كل ذنب قُرِنَ بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب.

ولعل الأقرب إلى الصواب أن الكبيرة كل ذنب ورد فيه وعيد شديد من القرآن الكريم، والسّنة النّبوية الصّحيحة، وإن لم يكن فيه حد شرعي.

أثر الفرق على وحدة الأمّة الإسلامية

جاء دين الإسلام بعقيدة سامية سهلة ميسرة لا تعقيد فيها، توافق الفطرة السّليمة التّي فطر الله النّاس عليها، وتتقبلها العقول الصّافية البعيدة عن التّقليد والعصبية.

وسمو العقيدة يرجع إلى أن دين الإسلام هو الدّين الحقّ الذّي رضيه الله ـ جلّت قدرته ـ للإنسانية كلّها، وأرسل به خاتم أنبيائه ورسله محمّداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ نوراً ورحمة للعالمين، وجعل القرآن الكريم كتابه الأول والأخير فرقاناً بين الحقّ والباطل في الاعتقاد والعمل على حد سواء.

نعم جاء هذه الكتاب بعقائد واضحة سهلة الفهم والإدراك وبعبادات تنظم صلة العبد بربّه على نحو لا عسر فيه ولا حرج، وبأصول محكمة عادلة تقوم عليها المعاملات بين النّاس حتى لا يبغي بعضهم على بعض، وبأخلاق وآداب سامية تسمو بها نفوس أتباعه، وبنظم فائقة مفيدة في شؤون السلم والحرب والعلاقات الدّولية، وغير ذلك مما لابد منه لصلاح الفرد والمجتمع في كل عصر ومكان، وهذا كلّه له أثر بالغ في سرعة انتشار الإسلام، ونجاح الدّعوة الإسلامية.

وقد دخل في الإسلام قوم خلصت قلوبهم من أدران التقليد والعصبية، وصفت نفوسهم لما يدعوهم إليه رسول الإيمان، واطمأنت خوالجهم إلى أمانة هذا الرّسول الكريم وصدقه، فعضوا على مادعاهم إليه بالنواجذ واستمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وكره كل واحد منهم الشرك وما كان يعبد آباؤه كما يكره أن يلقى في النار، ورأوا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وصحبوه فأحبوه فوق ما يحبون آباءهم وأبناءهم، وفدوه بالأنفس والموال، حتى كان أحدهم يتمنى أن يعذب بأشد أنواع العذاب إذا كان في هذا العذاب نجاة للرّسول الكريم ـ صلّى الله